واما بالفضل والكمال فان سبق معنى من المعاني الى الخلق والعكس باحد هذه الاسباب الخمسة
او باكثرها سبق اللفظ الدال عليه ذلك المعنى المطابق وكان ترتيب الالفاظ بحسب ذلك نعم وربما
كان ترتيب الالفاظ بحسب الحقيقة والعقل لا بحسب المعنى كقولهم ربيعة ومضر في اللفظ الكثير
الحركات في مضر وتوالت فلما اخرت ووقع عليها بالسكون خفت ومن هذا النحو الجن والانس
فان لفظ الانس اخف لمكان النون الخفيفة والسين المهموسة فكان الاثقل اولى باول الكلام
من الاخف لنشاط المتكلم وجمامه واما في القرآن فلحكمة اخرى سوى هذا اقدم الجن على الانس في الاكثر
والاغلب وسنشير اليها في اخر الفصل انشاء الله تعالى اما ما يتقدم بتقدم الزمان كعاد وثمود
والظلمات والنور فان الظلمة سابقة للنور في المحسوس والمعقول وتقدم الظلمة في المحسوس معقول
بالخبر المنقول وتقدم الظلمة للمعنى المعلوم بضرورة العقل قال الله تعالى والله اخرجكم من بطون
امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة فالجهل ظلمة معقولة وهي متقدمة
بالزمان على نور العلم ولذلك قال تعالى في ظلمات ثلاث فهذه ثلاث محسوسات ظلمة
الرحم وظلمة البطن وظلمة المشيمة وثلاث معقولات وهي عدم الادراكات الثلاثة المذكورة
في الاية المتقدمة لكل اية ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع وفي الحديث ان الله خلق
عباده في ظلمة ثم القى عليهم من نوره ومن المتقدم بالطبع نحو مثنى وثلاث ورباع ونحو ما يكون
من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الاية وما يتقدم من الاسماء بعضها على بعض انما يتقدم بالطبع
كتقدم الحيوان على الانسان والجسم على الحيوان ومن هذا الباب تقدم العزيز على الحكيم لانه عز
فلما عز حكم وربما كان هذا من تقدم السبب ومثله كثير في القرآن نحو يحب التوابين ويحب
المتطهرين لان التوبة سبب الطهارة وكذلك كل افاك اثيم لان الافك سبب للاثم
وكذلك كل معتد اثيم واما تقدم هماز على مشاء بنميم فبالرتبة لان المشي مرتب على القصود
في الكلام والهماز هو العياب وذلك لا يفتقر الى حركة وانتقال من موضعه بخلاف النميمة
واما تقدم مناع للخير على معتد فبالرتبة ايضا لان المناع يمنع من نفسه والمعتدي يتعدى
على نفسه وغيره قبل غيره ومن المقدم بالرتبة قوله تعالى ياتوك رجالا وعلى كل ضامر لان
الذي ياتي راجلا ياتي من المكان القريب والذي ياتي على الضامر ياتي من المكان البعيد
على انه قد روي عن ابن عباس انه قال وددت اني حججت راجلا لان الله قدم الرجالة على
الركبان في القرآن فجعله ابن عباس من باب تقدم الفاضل على المفضول والمعنيان موجودان
وربما قدم الشيء لثلاثة معان او لاثنين او لمعنى واحد من الخمسة وربما
قدم للفضل والشرف فاغسلوا وجوهكم وايديكم وامسحوا برؤوسكم وارجلكم وقوله
النبيين والصديقين ومنه تقديم السمع على البصر وسميع على عليم ومنه تقديم الجن على الانس
في اكثر المواضع لان الجن يشتمل على الملائكة وغيرهم ممن اجتن عن الابصار وقال تعالى

وجعلوا

٤٣

وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وقال الاعشى وسخر من جن الملائك تسعة قياما لديه يعملون بلا اجر
واما قوله لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وقوله لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وقوله وانا ظننا
ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا فان لفظ الجن ههنا لا يتناول الملائكة بحال لنزاهتهم عن العيوب
وانهم لا يتوهم عليهم الكذب ولا سائر الذنوب فلما لم يتناولهم عموم لفظ الجن لهذه القرينة
بدا بلفظ الانس لفضلهم وكمالهم واما تقدم السماء على الارض فبالرتبة ايضا وبالشرف
والفضل واما تقدم الارض في قوله تعالى وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في
السماء فبالرتبة ايضا لانها منتظمة بذكر ما هو اقرب اليه وهم المخاطبون بقوله ولا تعملون من
عمل فاقتضى حسن النظم تقدمها مرتبة في الذكر مع المخاطبين الذين هم اهلها بخلاف الاية التي
في سبا فانها منتظمة بقوله تعالى عالم الغيب واما تقدم المال على الولد في كثير من الاي فان
الولد بعد وجود المال نعمة ومسرة وعند الفقر وسوء الحال هم ومضرة فهذا من تقدم السبب
على المسبب لان المال سبب تمام النعمة بالولد واما قوله حب الشهوات من النساء والبنين
فتقدم النساء على البنين بالسبب وتقدم الاموال على البنين بالرتبة ومما تقدم بالرتبة ذكر السمع
والعلم حيث وقع فانه خبر يتضمن التخويف والتهديد فبدا بالسمع لتعلقه بما قرب كالاصوات
وهمس الحركات فان من سمع حسك وخفي صوتك اقرب اليك في العادة ممن يقال لك انه يعلم
وان كان علمه متعلقا بما ظهر وبطن وواقعا على ما قرب وشط ولكن ذكر السمع اوقع في باب
التخويف من ذكر العلم فهو اولى بالتقديم واما تقديم الغفور على الرحيم فهو اولى بالتقديم
بالطبع لان المغفرة سلامة والرحمة غنيمة والسلامة تطلب قبل الغنيمة وفي الحديث ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن العاص ابعثك وجها يسلمك الله فيه ويغنمك وارغب لك رغبة من المال
فهذا من الترتيب البديع بدا بالسلامة قبل الغنيمة وبالغنيمة قبل الكسب واما قوله وهو
الرحيم الغفور في سبا فالرحمة هناك متقدمة على المغفرة اما بالفضل والكمال واما بالطبع لانها
منتظمة بذكر اصناف الخلق من المكلفين وغيرهم من الحيوان فالرحمة تشملهم والمغفرة تخصهم
والعموم بالطبع قبل الخصوص كقوله تعالى فاكهة ونخل ورمان وكقوله تعالى وملائكته وجبريل
وميكال ومما تقدم بالفضل قوله تعالى واسجدي واركعي مع الراكعين لان السجود افضل
واقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فان قيل فالركوع قبله بالطبع والزمان
والعادة لانه انتقال من علو الى انخفاض والعلو بالطبع قبل الانخفاض فهلا قدم الركوع
فالجواب ان يقال انتبه لمعنى الاية من قوله واركعي مع الراكعين ولم يقل اسجدي
مع الساجدين فانما عبر بالسجود عن الصلاة واراد صلاتها في بيتها افضل من صلاتها
مع قومها لان صلاة المرأة في بيتها افضل من صلاتها مع قومها ثم قال لها اركعي مع الراكعين

Copyright © King Saud University

1957

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)